مُناقشة مُطَوَّلَة

مع من يقول : إن الطبيعة تُطَوِّر الإنسان

وبيان بطلان زعمه مع الأدلة

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب

(حول تفسير سورة الحجرات)

من الصفحة ٨٥ حتى الصفحة ٨٩

للشيخ الإمام

عبد الله سراج الدين الحسيني

بناء على توجيهات ولده

المهندس الشيخ

محمد محيي الدين سراج الدين

رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة

وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام

من موقعه الرسمي والوحيد

WWW.SRAJALDEN.COM

قسم مؤلفات الإمام

ـ المؤلفات المكتوبة وقبسات من المؤلفات

مدير الموقع :

الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

فالإنسان ذاته وما أحاط به مِنْ كل كائن هو دليل على حقية وجوب وجود الله تعالى، فابدأ بنفسك ثم انتقل للعالم العلوي ثم السفلي مما تبصره وما لا تبصره تعلم يقيناً أنّ هناك خالقاً خلق، وبارئاً برأ.

فالإنسان لم يكن شيئاً ثم صار إنساناً، ذا بيان وعقل، وفكر وسمع وبصر، إذاً مَنِ الذي حَرّكه من العَدَم الذي قبل وجوده حتى أظهره إلى عالم الكون والشهود؟ نعم ذلك هو الله تعالى.

قال تعالى: **﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً﴾**.

فإن قلت: هي الطبيعة تُطوّر الإنسان، وتطوِّر مادته التي خُلق منها وهي النطفة فتصير إنساناً؛

قلنا: الطبيعة إمّا هي مطوِّرة أو هي متطوِّرة.

فإنِ ادعيت أنّها مطوِّرة فهي إذاً ذات قدرة على التطوير

والتحويل، وذات إرادة، حيث تُطور الشيء إلى ما يناسبه، وينبغي أنْ تكون متصفة بالحكمة، فإننا نرى أنّ خلق الإنسان فيه دقة وإبداع، وحكمة في الصنع والتخليق، والمزاج والمدارك، وفيه العجب العجاب.

فإن قال الطبيعي: نعم هي كذلك قادرة ومريدة وحكيمة، وعليمة، وذات تدبير... إلى آخره.

قلنا: هذا المعنى الذي تتصوره من الطبيعة هذا هو صفة الله تعالى الخالق البارىء، العليم الحكيم المصور، الذي أعطى كل شيء خَلَقه صورته ومقداره، وحجمه وجسمه.. إلخ فَلِم سميتموه طبيعة، فإن الطبيعة في اللغة هو اسم مفعول أي: مطبوعة؛ كقتيلة وفتيلة.. ونحوه، وقد سمى الله تعالى نفسه الله، إذاً ﴿**قُلِ اللهُ ثم ذرهم في خوضهم يلعبون**﴾.

وإن ادعى الطبيعي أنّ الطبيعة هي متطوِّرة.

قلنا: إذاً لا بدَّ لها من مطوِّر يُطورها، كالمتحرك فإنّه لا بد له من محرِّك يحركه، والمتقلب فلا بد له من مقلب يُقلبه، وهكذا دواليك...

فإن ادعى الطبيعي أنْ لا حاجة إلى مطور، بل بنفسها تتطور مع بعض المواد فيكون ما يكون.

قلنا: إن التطوير يقوم على أساس المناسبة بين المواد، وعلى التطور المتناسب، في حين أنّنا نرى أشياء كثيرة لا يمكن ولا يتصور عقلاً أنْ تكون ناشئة عن مجرد تطور بدون مطور، وتحويل بلا محول، وتقليب بلا مقلب.

فإننا نرى أنّ الله تعالى يُوجد كثيراً من الأشياء من أضدادها المتنافرة في طبائعها وخصائصها ـ هذا من وجه.

ومن وجه آخر نرى أنّ الله تعالى قَدْ يجعل طبيعة الشيء الواحد ذات نقيضين متنافرين.

أما الأول: فقد يخلق الله تعالى الحيوان من حيوان، وقد يخلق الحيوان من جماد بلا مُهلة تطوير ولا تقليب، **فقد أخرج** في لحظة واحدة ناقة عُشراء من بطن صخرة صَمّاء - وهي ناقة صالح عليه السلام. فأيُّ مناسبة بين الناقة والصخرة الصَّماء، وأيّ طبيعة تَجمع بينهما، وأيّ نظرية تُثبت أن الصخرة الصماء تلد ناقة عشراء - نعم إن النظريات المادية عاجزة عن ذلك، ولكنّ هناك قدرة الله تعالى التي هي فوق علم المخلوقات، وفوق قدرتهم، وأخرج النار المحرقة من الشجر الأخضر، قال تعالى: ﴿**الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون**﴾.

وذلك المرج والعفار إذا احتكّا ببعضهما - فأيّ طبيعة تجمع بين رطوبة ومائية الخضار وبين يبوسة وحرارة النار، فإن الطبيعة من شأنها أن يَنشأ عنها مثلها لا نقيضها، ولذلك ترى أنّ الله تعالى كثيراً ما يذكر إخراج المتضادات المتقابلات بعضها من بعض، وفي ذلك ردٌّ على من ينكر الرب الخالق ويثبت الطبيعة وينسب الأمور إليها.

قال تعالى: ﴿**إن الله فالق الحب والنوى يُخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي**﴾.

وفي قراءة سبعية: ﴿يُخرج الحي من الميْت ومخرج الميْت من الحي﴾ بتخفيف ياء الميت فيهما ﴿ذلكم الله فأنى تؤفكون﴾؟

والمعنى إلى أين تصرفون عقولكم، أفلا تُفكرون في هذا الأمر العظيم، وهو إخراج الشيء من ضده!.. نعم الذي صرف عقولهم عن ذلك هو الأهواء الفاسدة، وآراؤهم الكاسدة،

والانهماك في الشهوات البهيمية، وغرورهم بما عندهم من المعلومات المحدودة.

وأما الأمر الثاني: وهو أنّنا قد نرى للشيء الواحد طبيعتين متناقضتين في حين واحد، فهذا الحديد من طبعه القوة والصلابة الشديدة فإذا به يصير في يد داود عليه السلام رخواً ليّناً كالعجين، فيصنع منه الدروع المنسوجة من زرد الحديد لأجل أن تُلبس في الحروب، قال تعالى: ﴿**وألنّا له الحديد أنِ اعْمل سابغات وقَدِّر في السرد**﴾.

وقال تعالى: ﴿**وعَلَّمناه صفة لَبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون**﴾.

فكيف صار الحديد، وهو حديد دون إدخاله في النار، أو إدخال أيّ مادة عليه، كيف صار ليّناً كالعجين مع أنه في يد غير داود عليه السلام وفي تلك اللحظة نفسها هو صلب شديد؟!!

فليعتبر كل جبار عنيد، وكل مُلحد مريد، وكل فلسفي سفيه وليعلم أنّ طبائع الأشياء هي بخلق الله تعالى وليست هي قديمة كما يزعمون، بل هي حادثة مخلوقة، وليعلم أنّ طبائع الأشياء ليست ذاتية لها، وليس لها تأثير من نفسها، وإنما المؤثر الفعال بها هو الله تعالى، خالقها وطابعها وصانعها.

وأيضاً فهذا الماء - فإنّ من طبيعته الليونة والإنسياب والسيلان على وجه الأرض، لا صلابة فيه ولا قوة يقوىٰ بها على أن يقف قائماً، فكيف صار حيطاناً حصينة مثبتة ذات شبابيك، وانتصب عالياً، فَمَنِ الذي غَيّر طبعه، وما الذي اعترىٰ طبيعة الماء حتى صار حيطاناً منصوبة قائمة، نعم هذا هو الله تعالى ربّ العالمين، طابع الطبيعة وفالق الخليقة - وهذه معجزة سيّدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وذلك حين لحقه فرعون

بجنوده، واتَّجه موسى عليه السلام ومَنْ معه نَحْوَ البحر، حتى إذا صار البحر أمامه، قال أتباع موسى عليه السلام: إنّا لمدركون - يعني أنّ البحر أمامنا، والعدو وراءنا فأين الخلاص والفرار؟

فقال موسى عليه السلام: ﴿**كَلّا إنّ معي ربي سيهدين فأوحينا إلى موسى أَنِ اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وأَزْلفنا ثَمّ الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين إنّ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين**﴾.

فانفلق البحر اثني عشر طريقاً على عدد أسباط بني إسرائيل، وارتفعت أرض البحر، ومشوا آمنين كلّهم يرون بعضهم من شبابيك في الماء بينهم، ليطمئنوا، ولحقهم فرعون وجنوده، حتى إذا جاوزه موسى عليه السلام بأتباعه إلى الشاطىء الآخر، ودخل فرعون البحر وجنوده ليدرك موسى عليه السلام، حتى إذا صار فرعون قريباً من الشاطىء المقابل، جعل جبريل عليه السلام يسوق جنود فرعون بسرعة ليدخلهم البحر كلهم، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿**وأزلفنا ثم الآخرين**﴾ حتى إذا دخل جماعة فرعون البحر كلهم بحيث اتصل خطهم من الشاطىء إلى الشاطىء المقابل، أمر الله تعالى البحر أنْ يعود كما كان، فأغرقهم الله تعالى أجمعين، ثُمّ أمر الله تعالى البحر أنْ يلقي فرعون ميتاً إلى الشاطىء، ليراه أتباع موسى عليه السلام، وتقر أعينهم بهلاك عدوهم، وليكون ذلك آية على قدرة الله تعالى، وأنّه لا يُعجزه شيء لا في الأرض ولا في السماء، وتفصيل القضية في موضعه من التفاسير.